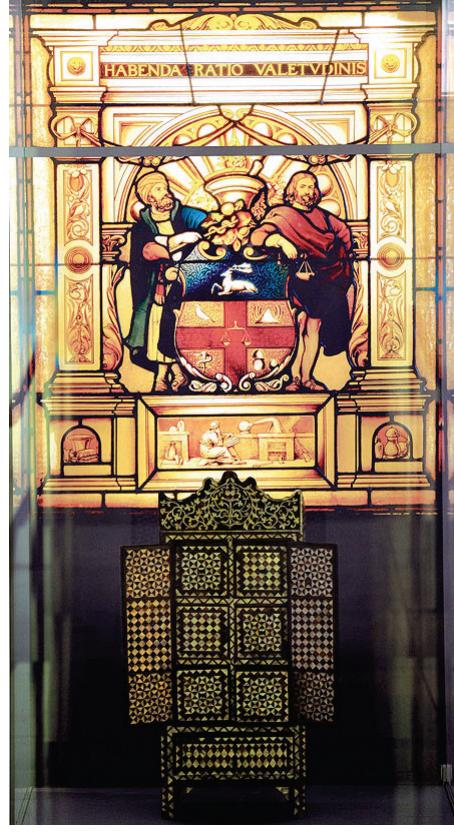


«جذور عربية».. قصة التبادل العلمي والحضاري بين إنجلترا والعالم الإسلامي

مخطوطات ولوحات نادرة لسفراء مسلمين في لندن .. وقصة أقدم نقش عربي في بريطانيا



نافذة من الزجاج الملون تحمل شعار الجمعية الملكية للصيدلة، الذي يصور العالم المسلم ابن سينا



غلاف كتاب عالم الفلك البولندي بوهانس هافيليوس يصور ابن الهيثم ممسكاً بعنوان الكتاب إلى جانب غاليليو



لوحة لسفير المغربي في لندن محمد بن علي أبي القاسم (1725 - 1727) (صورة: حاتم عويضة)

لندن: غير مختص يقام في مقبرة الجمعية الملكية بلندن معرض «جذور عربية»، الذي يغوص في أرشيف ومكتبة الجمعية العربية التي أنسنت العثمانيين في 350 عاماً، لاكتشاف عادات مع العالم العربي والإسلامي المستمدت على البحث العلمي في بريطانيا تحدداً.

غير مجموعة من الرسائل النادرة والوثائق والصور يقدم المعرض جلباً مجهولاً لعلم العصر خالل القرنين السابعة عشر والتاسع عشر، الذي رافق نهضة علمية استمدت الكثير من قوامها من الأطروح على التراث العلمي العربي.

المكتبة **لـ تركمان**، وهي عالمة فزياء فلكية سورية وزميلة بطالقة في الجمعية الملكية، قضت أربع سنوات في التحضير للمعرض، غاصت خلالها في أرشيف الجمعية ومكتبتها، واكتشفت من خلال بحثها عدداً من الوثائق المنسية والمحظوظة.

ارتبط تاريخ علمي أوربي اعتمد على جذور عربية من كتب ابن الهيثم وابن سينا والباتاني والوصفي وغيرهم من علماء المسلمين.

تقول **ريم تركمان** خلال جولة لـ«الشرق الأوسط» في المعرض إن المفردة ولدت منذ 4 سنوات، عند زيارة الشيفونية موزة المسنن زوجة أمير قطر رئيسة مجلس إدارة مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، قبلها عرض لها مسؤول الجمعية بعض الكتب العربية النادرة من مقتنيات المكتبة، وهو ما أثار اهتمام **تركمان**، بعدها قدمت عملية بحث في أرشيف الجمعية وأكتشفت أشياء كثيرة، منها مجموعة من الكتب العربية غير الموزعة خالل العصر.

المترجمة إلى الإنجليزية واللاتينية، وجدت أيضاً كثيراً من الكتب العربية غير الموزعة خالل العصر، بما في ذلك بالبحث في أرشيف الجمعية الذي يحتوي على كل ملامحه العلمية على مدى 350 عاماً، فوجرت فيها إشارات إلى تلك الكتب، فهي لم توضع في المكتبة فقط وإنما استخدمت في البحث العلمي أيضاً.

وامتد البحث من مكتبة الجمعية الملكية إلى المكتبة البريطانية التي تضم مجموعات ضخمة من الكتب والمخطبات العربية، وأيضاً مكتبة بوديانا بأسقفورد، التي تضم ألاف المخطوطات المسمالية، والتي اشتريت غالباً من ويليان لويد أستفانتيوري في القرن السابع عشر، ضخامة المادة كانت تحدى **تركمان**، التي قررت منحه أكبرها من وقتها للبحث في الوثائق، ولكنها وجدت أن زمام المعرفة متتشعبة وبالتالي تقدمت إلى الجمعية الملكية ككتب لابن الهيثم والمكتبة، كما قدمت أيضاً دعم ورعاية من مؤسسة قطر ومؤسسة العلم والكتاب والروايات والحضاريات.

المعرض لا يقتصر تاريخياً فقط، بل يعتمد على التوثيق بالأمثلة لكيفية استخدامها لحل بعض المشكلات العلمية في تلك الفترة، وعلى الرغم من صغر حجمها، فإنه يضم مجموعة قيمة وثرية من الكتب الأثرية والخطابات والبعثات العلمية التي تروي قصة التبادل العلمي والحضاري بين إنجلترا والعالم الإسلامي في القرنين السابعة عشر والتاسع عشر.

تتصدر مدخل المعرض لوحتان ضخمتان لرجين شرقية بالملايين الليرات العربية، هما سفيران للمغرب لدى بريطانيا، الأول محمد بن هدى، الذي عمل سفير ليبيان في لندن في عام 1684، والآخر محمد بن علي أبغاثي الذي عمل في لندن في الفترة ما بين 1725 إلى 1727 اللوحات موجودة بأسلوب بدائي يذكر تفاصيل الملبس الشرقي والأوان.

الدائنة التي تحيي بعام الشرق دالما، السفريات كانت أيضاً من زميل ثالث لهم هو قاسم أغام من أعضاء الجمعية الملكية في تلك الفترة، خاتمة كل شهء مجهولة كشف عنها بحث **تركمان** في أرشيف الجمعية.

تقول **تركمان** إن اللوحتين تعكسان اطياحاً إيجابياً ساد في القرن السابع عشر عن العرب والمسلمين، والعكس في مجالات أخرى، كالفن، وحتى في الجمعية الملكية التي هيئت ثلاثة كراسي لإحياءها ساد في القرن السابع عشر عن العرب والمسلمين، والعكس في مجالات نادرة.

السفير بن حدو زار الجمعية الملكية لدى عمله بلندن، وقد قام بروبرت هوك بتسجيل قياعه حول لقاءه في إنجلترا، وهو أحد أعضاء الجمعية في تلك الفترة، بأنه «رسيم وأنقى ومهذبه حكيم وحضاري جداً»، كما وصفه بأنه «موضة العصر»، تشير **تركمان** أنها لم يكتفوا في أرثه بمقداره، بل وحدوا رسائل من إقالي لزماء آخرين بالجمعية الملكية قبل وبعد أن أصبح سفيراً، «كان واضحاً منها أنه له علاقات قوية بالمجتمع البريطاني، وظهره من محاضر الجمعية تقاضي زياراته لمقرها، وأطلاعه على التجارب العلمية التي أجراها بها».

الزميل الآخر الذي عين بالجمعية في تلك الفترة كان سفير بليبيا، قاسم أغام، الذي قام بالقاء محاضرة بالجمعية حول لقاء الجدري الذي كان لا يزال موضوع التجارب في إنجلترا، على الرغم من شيوخه بالعلم الإسلامي، «أعرب أغام من خلال محاضرته عن استغرابه من أن البريطانيين ما زالوا يعيشون اللحاق أمام أمراً جديداً، وروى لهم أنه أمر عادي وكيف أن أيام قام بتلقيحه هو روايته السعيدة، وقام من خلال المحاضرة بتأكيدها للجمهور بأن اللحاق العادي والسلامة، وروى لهم كيفية التلقيح، ترجمت هذه الرسالة إلى الإنجليزية، ثم نشرها أحد زملاء الملاعنة في كتاب حول اللحاق ضد الجدري».

المعروفات المقدمة هنا تتعلق بالثورة العلمية في بريطانيا، والعلاقات بين أوروبا وأستراليا وحمل أفرقيا.

تقول **تركمان**: «العلاقات بين أوروبا والعالم المسلم ازدهرت عبر شركة الشرق التي احتكرت التبادل التجاري مع الشرق، وكان لها أكبر فرع لها في طبل، وباتلاني، ودخت جالية إنجليزية كبيرة في حلبي، توافق عليها الأطباء والمعلمون ورجال الدين الذين درسوا اللغة العربية، وبعدهم قاماً بتدريس اللغة العربية في بريطانيا، العلاقات التجارية دعمت التبادل الحضاري والعلمي، فكان التجار المسلمين يطلبون المخطوطات العلمية العربية والفارسية يائين من، ويعودونها إلى إنجلترا».

من خلال إحدى منصات المعرض الزجاجية ترى رسالة من الملك تشارلز الأول إلى شركة الشرق، يطلب منها أن تحمل كل سفينة مفكرة من طبل إلى إنجلترا على الأقل مخطوطة واحدة، وهو ما يشير إلى ازدهار حرفة شراء المخطوطات واهتمام الملك في تلك الفترة بها، المخطوطات كانت وسيطة للإلاطraction على رغم هائل من المعلومات التي ترتبط بكل مناحي الحياة، وللإسكندرية منها أيضاً في البحث العلمي، وكانت من العناية أن يولد هذا الاهتمام بعلم النساء والتربية في تعلم الفتيات التي كتبت بها تلك المخطوطات، وهو ما أضافه المجالس الإنجليزية في دول المشرق، عادوا بذلك إلى بلاطهم تعلم تلك الفتايات في الجامعات.

وكمثال على ذلك الاهتمام، تشير **تركمان** إلى أن أستاذ ترجمة ابن الهيثم، ويليام لويد، كان له علاوة يشتهرون في أوروبا، بل إنه قام بتغيير أول أستاذ للغة العربية في أكسفورد، وخصص ولقى تمويل كريسي باسمه لا يزال موجوداً حتى الان، تحت اسم **لودياني ترجمان أوف آرلينجتون** في عام 1636 في نفس الخانة يوجد فرمان للملك ماراد خان بسم للتجار الأوروبيين بالشراء والتجارة في الكتابة العربية، وتلمنزان طبقة ترجمة **تركمان** تلمنزان طبقة آن ميلانيشى بإيطاليا قد طبع الكثير من الكتب العربية باللغة الإنجليزية، قام من خلالها بطبعها بعدها باللغة العربية، وله ما ثالث المذكور والمعناع لهم مع السلطات ولقها، ومن هنا جاء فرمان السلطان مراد الذي فتح الباب أمام تجارة المخطوطات والكتب العربية في أوروبا والعالم العربي.

ويوجد إلى جانب الفرمان مثل على استخدام السفارات والبعثات التجارية لاستيراد المعرفة؛ فتشير **ريم** إلى رسالة من سفير الجمعية الملكية المقدمة إلى الفصل بطلب منه معلومات عن البلد والأبناء التي تتعذر بها، للاهتمام بالسنة المقدمة في الخطاب، هناك كل شيء، حتى تفاصيل الحياة الدقيقة، مثل سؤاله عن كيف تنشر البرن، واستخدام الأعشاب وما هو سر خلطة الصليب المشمشي».

تقول **تركمان** إن حرفة المخطوطات وترجمتها انتجت عدداً من الخبراء باللغة العربية والفارسية يعيشون في أوروبا وبريطانيا تحدثوا و كانوا دائماً على تواصل مع العلماء، وكان هناك زمام المعرفة للجمعية الملكية، مثل جون واليس، وهو عالم رياضيات معروف وأدمنه على عالم الفلك، وغيرهما كانوا على تواصل دائم مع أستاذ اللغة العربية بآكسفورد، وكان منهم علماء باللغة العربية، مثل إدوارد بيرنارد، الذي كان عالماً بالفلك وأيضاً في اللغة العربية، التي كانت من متطلبات تعلم الفلك في تلك الفترة.

في خزانة تاليا تشير **تركمان** إلى قاموس العربية، كتبه أحد زملاء الجمعية وهو أندونك كاسيل، الذي قضى في تأليفه 18 عاماً، وتقول إن كاسيل عندما بدأ إنجه طبع أن تكتب جملة عربية على شاهد فيه في قرية هام غرين في بيدفورثشاير ما زالت موجودة حتى الآن، وهي موجودة وتغير أدق نقش عربي موجود في بريطانيا.

في مكان آخر تجد خزانة ترجم على بحث عالم الأرضاد إدوارد بيرنارد، ترجم فيه إنجيلاً أصلها عربية وإسلامية. «برنارد استخدم أربعمائة رصدأ عربية في بحثه الذي نشر في الورقة العلمية للجمعية، وأرسل هذه الرسالة إلى جون فلامستيد (استونوروم روبل) الذي ثنى مرصد فريتفن، وتمثّل أخذ الكتب التي استخدماها بتراث هناك كتاب العلوم، الذي ترجم له ترجمة هنري ترجمة هنري (الشيخ الفاضل يعقوب غاليليو)، وهو لاسم المترجم جاكوب غاليليو، المعصعب الهولندي».

ومن بين علماء الملك الآخرين الذين ترجموا الكتب من العربية أندونك، وهو أحد مؤسسي الجمعية الملكية، اهتم بالالأرصاد العربية والرياضيات العربية والكتب التي ترجمها العبر من الإنكليزية، وقام هنلي بترجمة بعضها، بعد أن تعلم العربية وهو في المخصوص من العبر، واستخدم هالي أيضاً الأرضاد التي ترجمها ليهل مكتبة قلته بعلم الملك، مثل مكتبة سوان حول سطح القمر بدوره ألا، ولكن يحيى هذا الموضوع قام بقراءة أحد الكتاب، ثم قام بنشر بحث كامل عنه، وأدمنه بهاته كان أول معلم ينقد بطليموس.

العالم البولندي بوهانس هافيليوس، وهو أول زميل أجنبي في الجمعية أهتم بعلم العلوم العربية، ومن خلال المخطوطات تعرف إلى قصة هذا العالم الذي أرسل إلى الجمعية الملكية بطلب منه ترجمة كتاب العلوم الإسلامي، ألغ بيك، حاكم سمرقند، في القرن الخامس عشر، الذي يرصد فيه اليوم بدقة كبيرة معتقداً على نتائج من عمل العالم.

الصوفى، وباعف، قاتل الجمعة بتلبيه طلاقه وترجمة الكتاب المأثور في العرض، الذي يحمل الجداول باللغات الثلاث: العربية والفارسية واللاتينية، «اعتمد هافيليوس على هذه الترجمة في إنتاج إطار نسخة جديدة تحمل مقتطفاته لوحة تصويرية وهو يقدم كتابه، ومن حوله اصططف أشهر العلماء في مجال الفلك، وكان من بينهم أنج ييل وباتلاني».

كم المعلومات التي يصلح عليها الزائر من المعرض شهد و مدحه، أيضاً فهو يفتح نافذة للإلاطraction على جانب مهم من التاريخ، ويukkan حالة من حالات التواصل الثقافية والاهتمام بالعلم والباحث عنه في كل مكان، ولعل التواصل الحضاري بين العلماء واهتمامهم بين سيفهم واحتفاءهم بهم يكون دليلاً جديداً على أهمية الحوار بين الحضارات بدلًا من تصاهمها.



أنظر إلى أعلاه من محتويات المعرض